# تمثلات ثقافة الاغتراب بين سطوة البقاء وسلطة الغياب في رواية "أخاديد الأسوار" للزهرة رميج

# The Representations of the alienation culture between the power of survive and the authority of absence in the novel "The Grooves of the Walls" by Al-Zahra Rameej

**1 راضية شقروش***

جامعة باجي مختار-عنابة، (الجزائر)، r.dia_c@yahoo.fr

**2 عبد الحميد شكيل**

جامعة باجي مختار-عنابة، (الجزائر)، achekil@yahoo.fr

تاريخ الارسال2023/06/17تاريخ القبول 2023/10/26 تاريخ النشر2023/12/31

**ملخص**:

يتناول هذا المقال موضوع التمثلات الثقافية في رواية "أخاديد الأسوار"، حيث سلطت الضوء فيه على "الاغتراب"، بما هو نمط ثقافي، محاولة استجلاء مواطنه داخل الوطن وخارجه في الرواية محل الدراسة، مستعينة بالمفهوم الماركسي والهيجلي للاغتراب. عن طريق المزج بين ما هو معرفي وما هو ثقافي.

**الكلمات المفتاحية** : التمثلات الثقافية، الاغتراب، السلطة، الغياب، الرواية.

**Abstract**:

This article treats the subject of the cultural representations in the novel "The Grooves of the Walls", which i'll study the "alienation" a cultural pattern to clarify its placements inside and outside the homeland in the novel, using the Marxist and Hegelian concept of alienation. By mixing the cognitive and the cultural aspects.

**Keywords** cultural representations , alienation, power, absence, novel

* - المؤلف المرسل: راضية شقروش.

**1- مقدمة:**

شكل الاغتراب أحد التيمات المؤسسة للرواية العربية عامّة، والرواية المغاربية المعاصرة خاصّة، لأنها تمس أحد جوانب الوجود الإنساني، فكلما حاول الإنسان التطلع إلى الحرّية وجد نفسه في مواجهة الاغتراب، لذا نجد الروائيين على مختلف مشاربهم يتفننون في صياغة صوره في إبداعاتهم الروائية. خاصّة المرأة المبدعة فقد برزت في إتقان صوره خاصّة أن نظرتها قد تكون مختلفة عن غيرها من المبدعين. ولعل اهتمامها يرجع إلى اتّساع أفقها الثقافي في هذا المجال،من أمثال الزهرة رميج في روايتها أخاديد الأسوار، التي تمكنت من التمثل الذهني لثقافة الاغتراب على المستويين النفسي والمادّي، وبالتالي تكون قد تمكنت فهم هذه التيمة وتصوّرتها ذهنيا كما لو أنها عاشتها فعلا، ذلك أنّه:«**عندما يفهم المرء شخصا آخر فإنه يتمثل قوله حتى ليصبح هذا القول قول المرء نفسه**»[1].ومصطلح الاغتراب متشعب وقد خاض في مفهومه الفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع والسياسة والأدب بداية "بهوبز ثم جان جاك روسو ثم شلير ماخر وهيجل وكارل ماركس ونيتشه ..."، وغيرهم لكن ما يهمنا في هذه الدّراسة هو معنى الاغتراب بعلاقته بالحرّية سواء الذاتية أو الاجتماعية أم السياسية، إذ: «**تعدّ كتابات ماركس وهيجل هي العامل الأساسي في توجيه النظر إلى قضية الاغتراب، إلا أن المفهوم اقدم منهما حيث يعدّ أكثر اتساعا وانتشارا من اعتبار ظاهرة الاغتراب تقتصر على العصر الحديث بحيث يمكن اعتبارها من نسيج الوجود الإنساني، يتواجد في الحياة الاجتماعية وفي كلّ الثقافات**» [2]. فالاغتراب عند هيجل يقترب من المعنى النفسي حيث :« **يعتبر هيجل الاغتراب نتيجة وسبب ، فهو نتيجة النشاط الخالق الذي تقوم به الروح إذ تجسّد فكرتها خارج ذاتها، في موضوع (تشيؤ في موضوع ، التّحوّل إلى آخر، .....) وتصبح بذلك في حالة اغتراب عن ذاتها** »[3]. كما تم شرح معنى الاغتراب عند كارل ماركس في معنيين اثنين وهما: «**المعنى الأوّل**: أنّ عمل الإنسان هو حياته وأنّ إنتاجه هو حياته في شكل متموضع ، ومن ثمّ فإنّه عندما يغترب عنه ، فإنّ ذاته تغترب عنه أيضا . **المعنى الثاني** : فيشير إلى انفصال الإنسان عن حياته الإنسانية الحقيقية ..» [4]. هذا ما قد نلمس بعض ملامحه في رواية أخاديد الأسوار للزهرة رميج ، التي تروي فيها حكاية مغترب مغربي عن وطنه ، قد عانى ويلات التهميش والسجن في بلده، الذي فقد فيه معنى الحرّية مما أدى به إلى الابتعاد وتفضيل الصمت على البوح بالحقيقة . لذا ستكون دراستنا متمحورة حول التمثيل الذهني لثقافة الاغتراب بين سطوة البقاء وسلطة الغياب . وقد عمدنا في الدراسة على اتخاذ الاستعارة المعرفية كآلية إجرائية في التحليل المعرفي وفتح النص على لسياق الثقافي لتحليل ظاهرة الاغتراب . حيث :« **تقوم الاستعارة بدور أساسي في بناء الواقعة الاجتماعية والثقافية والذهنية، ويمكن أن تحلّل الاستعارة بوصفها نظاما من التوافقات الجزئية (تشاكلات ) بين ميدان مصدر(المرجع) وميدان مستهدف (المحال إليه) مع الاحتفاظ العامّ بالدّلالة ...**»[5]، وعلى هذا الأساس ستتم دراسة تيمة ثقافة الاغتراب بين سطوة البقاء وسلطة الغياب.

**2- ثقافة الاغتراب:**

يحمل معنى الاغتراب بعدا إنسانيا ثقافيا ، وقد نشأ في رواية "أخاديد الأسوار" للزهرة رميج ،من عمق انكسار وخيبة ناجمة عن الفقد ، الذي قد يكون للوطن ، للأسرة ، للفرحة ، للحرّية ...، فها هي ذي تعلن عن الاغتراب الذي يدخل في مجال رغبة المحكي عنه في الرواية حيث تقول:« **أليست أرض الله واسعة؟ فلأهجرنّ إذن.ها أنا خارج الحدود ، أبحث عمن يداوي جراحي ...يوقف نزيفي** .... »[6]، تظهر من خلال هذا القول استعارة الحياة رحلة حيث تبدأ عملية الخروج كميدان مصدر في الرحلة موجّهة نحو الاغتراب عن الوطن،الذي لا يمثل لبطل الرواية (المروي عنه ) مجال رغبته ، فهو في رحلة البحث عن الحرّية قرّر أن يتخد من الهجرة ملاذا له، ليتداوى من جراحه ونزفه الذي شهده في وطنه .

وقد تمثلت الروائية صورة بطلها من خلال استعارة الحياة رحلة ،وعبّرت عن رحلته التي كان يشملها التيه عن الوطن (المغرب) والانتساب المعنوي لموطن آخر( العراق) فتقول:«**أيها العراقي الذي ظلّ تائها زمنا طويلا عن بلاده . وعندما عاد إليه امتدّت الأيدي تحتضنه، تهنئه على العودة وتلومه على غيابه الطويل** »[7].عبّرت الرواية من خلال هذا القول عن عملية "التيه " عن طريق مناداته "أيّها العراقي "، فتتوقف بذلك رحلة الخروج وبداية رحلة العودة ، حيث تمثلت العودة في محفل فرحة وسرور، ومجال رغبة مرحّب به اجتماعيا، فعبارة "امتّدت الأيدي تحتضنه " تكشف عن مدى التقبل بعد عملية الفقد، لكنّ مشاعر الفرحة والترحيب قد مزجتها الروائية بمشاعر اللوم على الغياب الطويل عن الوطن .

وبعد تصوير حالة العودة تأتي الروائية لتقلب معادلة اللقاء الاجتماعي عن معنى الاغتراب في قولها :«أنت تسأل وهم يتساءلون "أهو العائد من الكهف أم نحن المغيّبون؟"»[8]. فالتساؤل في هذا القول كان ذهنيا نابع من ثقافة الجماعة التي لاحظت على البطل المروي عنه في الرواية اغترابه، وكأنّهم صادفوا رجلا من رجال أهل الكهف المشهورة قصّتهم في القرآن، فهم بعد خروجهم لم يعرفهم أحد لطول مكوثهم في الكهف، كذلك هو في تصوّرهم كان هذا الجزء الأول من التساؤل أمّا الجزء الثاني فيطرح فكرة اغترابهم عنه، في عبارة " أم نحن المغيّبون ؟"، فهو الاحتمال الثاني في معادلة الاغتراب الاجتماعية الناجمة عن طول الغياب.

ثم تكشف الروائية عن تصوّرها لانتماء بطلها الثقافي لبد غير بلده وهو العراق حيث تقول: «...**كنت عاشقا للوطن العربيّ كلّه ، ولكنّ عشقك الاكبر بعد وطنك _طبعا_هو العراق، هل لانّ تاريخه المأساويّ الطويل يجد صداه في أعماقك الملكومة ؟ لم تكن تجد متعتك إلّا في هذه الأصوات العراقيّة الشجيّة الأصوات "الجرجانية" كما كنت تسمّيها** »[9]، لقد اعتمدت الروائية في هذا الطرح لصورة بطلها على معيار المعرفة الثقافية لبطلها لقياس مدى انتمائه للعراق ، على الرغم أنه ليس وطنه ، وكأنّها تقول : " كلّما كانت معرفة الفرد بتاريخ وثقافة بلد ما كان انتاؤه الثقافي له أقرب، وكلّما جهل ذلك كان مغتربا عنه، لكن لسطوة البقاء في الوطن قدسيتها بالرغم من الاغتراب عنه .

**3- سطوة البقاء :**

أدخلت الروائية بطلة روايتها وهي تروي مدى تمسّكها بالمكان الذي كان يجمعها بزوجها المغترب عنها، لتجعل منه مكانا مقدّسا ، فتقول :« **فضلت البقاء في محرابنا المقدّس في سريرنا الذي تختزن ذاكرته مسيرة ربع قرن من حياتنا بكل تفاصيلها وجزئياتها الصغيرة بكلّ مسرّاتها وأحزانها، في هذا المحراب الذي كنّا نصلّي فيه بكل إيمان وخشوع للحب في أبهى تجلّياته** »[10]، لقد تمثلت الروائية سرير راويتها بالمحراب المقدّس و هذا الأخير يمثل في المنظومة الثقافية العربية أحد أماكن التعبّد التي تحمل خصوصية دينية ، تضرب في أعماقها في عمق الدّيانات السماوية فالنبي زكريا عليه السلام كان يتعبّد في المحراب وكذلك مريم عليها السلام ، وقد ربطت الروائية ذهنيا بين صورة الصلاة في المحراب الأصلي الذي تكون فيه العبودية لله الأوحد ، وبين الصلاة داخل السرير التي تكون فيها العبودية للحب، لتفصح عن مدى إخلاص راويتها لزوجها وتمسكها بالمكان يجعل من سطوة البقاء فيه ممارسة دينية مقدّسة بعد توقف الرحلة وبداية عملية الاستذكار التي اختزلت الرحلة في "مسيرة ربع قرن" ، تواصل الرواية تصوير حالة بطلها المروي عنه من طرف زوجته وهو يتصارع مع سطوة البقاء في الوطن برغم الانكسارات والخيانات المتكرّرة فتقول :« **هكذا انكويت بنار الخيانة وأنت في عزّ طفولتك تتكرّر الخيانة، تتكرّر الاعتقالات...ومع ذلك كان إيمانك بالوطن أكبر من كلّ خيانة .لذلك لم تقو هذه الخيانة عن شلّ عزيمتك، أو إخصاء حلمك في رؤية وطن جميل يعمّ فيه الرّخاء** »[11]، لقد كانت سطوة البقاء في الوطن تفرض نفسها، وذلك كلّه بفضل الإيمان الذي يتمتّع به بطل الرواية بصفته مثقف بوطنه، وقوّة عزيمته التي تصورتها الروائية عن طريق مشاعره تجاه وطنه التي تحمل معنى العزيمة في مواصلة الحلم المتمثل في "وطن جميل يعم فيه الرخاء " بحسب تصوّرها، وقد بدأ نضال بطلها في مرحلة مبكّرة من عمره لكنه تعرض للخيانة، والاعتقال ، بسبب أفكاره التحرّرية التي يطمح بها غلى تغيير وطنه للأفضل .

ثم تواصل الروائية مدى تمسّك بطلها للبقاء في وطنه الذي يمثل له انتماءه الأول الذي يرغب في عدم تركه ولو لقضاء عطلة لكنّه في نفس الوقت يطمح في تغييره فتقول : «**لقد أحببت هذا الوطن حبّا عظيما لدرجة أنّك لم تحلم يوما بمغادرته ولو لقضاء عطلة أحببت جباله وسهوله وأنهاره وبحاره أحببت أناسه البسطاء أحببت لغته .وكان يحزّ في نفسك أن ترى من بيدهم أمر تحويله إلى جنّة يتنكّرون له أو يعرضون عنه**»[12]. حمل هذا القول رسالة المثقف الطوح الذي يرغب في تغيير وطنه للأحسن، فهو يحمل رسالة حبّ وتمسّك بكلّ مقوّماته الطبيعية من جبال وسهول وأنهار،ومقوّماته الاجتماعية من الأناس البسطاء واللغة ، فمغادرة الوطن أمر مرفوض حتى ولو كان في مجال الحلم ، كما حملت الروائية بطلها طرح موقفه ممن بيدهم سلطة التغيير داخل الوطن وهم يرفضون تغييره إلى الأحسن وهنا تتحدّد هوية المثقّف الحق الذي لا ينحصر دوره في المجتمع في ممارسة مهنة أو انتماؤه لفئة معينة من المجتمع، فهو حسب رأي ادوارد سعيد الذي يقول: «**أنّ المثقّف ينهض**

**بدور محدّد في الحياة العامّة في مجتمعه ، ولا يمكن اختزال صورته بحيث تكون صورة مهني مجهول الهويّة، أي مجرّد فرد كفء ينتمي إلى طبقة أو يمارس عمله وحسب ، وأعتقد أن القضيّة الأساسية هنا أنّ المثقّف فرد يتمتّع بموهبة خاصّة تمكّنه من حمل رسالة ما، أو تمثيل وجهة نظر أو موقف ما أو فلسفة ما أو رأي ما، وتجسيد ذلك والإفصاح عنه إلى مجتمع ما وتمثيل ذلك باسم هذا المجتمع»**[13]، وهذا ما تحقّق لبطل الرواية الذي حمل على عاتقه حمل رسالة المثقف الغيور على وطنه.

وبين التّمسك بالبقاء في الوطن وتحقق عملية الانتماء داخل سطوة البقاء، يغترب بطل الرواية داخل وطنه، ففي قمّة البقاء يتولّد الاغتراب الناجم عن عملية الفقد والخيبة، وفي ذلك تقول الروائية : « **وتأكّدت أنّك لم تكن مخطئا كلّ الخطأ أصبح ألمك واغترابك أكبر، اغترابك عن نفسك ومحيطك** »[14].وكأن بالروائية في هذا القول حلت محل التنظير لمعنى الاغتراب بالمعنى الماركسي للكلمة ، فقد أدّت عملية الفقد التي تعرّض لها بطل الرواية إلى تألّمه لدرجة فقدانه الانتماء لذاته ومجتمعه مما جعله يشعر بحالة من الاستيلاب الذي يمثل أحد معانيه:«**الانقطاع عن الانتماء إلى الذات و التشيوء القهري** »[15]، فقد أدّت حالة الاغتراب عن النفس والمحيط داخل الوطن إلى استيلاب بطل الرواية وتحوّله إلى شيء لا دور له في المجتمع الذي اغترب عنه، بالرغم من سيطرة سطوة البقاء عليه.

وقد نتج عن هذا الاغتراب داخل لبطل الرواية فقدانه للحرّية داخل مجتمعه وفي هذا تقول الروائية على لسان روايتها المفترض: «**لقد فقدت حرّية الفعل بما يتلاءم وطبيعتك كفاعل، لأنّك كنت ترى كلّ مجهوداتك وطاقتك قد أهدرت مادات لم تحقّق لك الحرّية التي كنت تبحث عنها خارج الأسوار. لذلك خاصمت نفسك وخاصمت العالم من حولك. أضربت عن الكلام واعتبرت الصمت حكمة لأنّنا أمّة رأسمالها الكلام**»[16]. لقد أصبح بطل الرواية فاقدا لحريته بالرغم من خروجه من السجن الذي يعتبر مقيدا للحرية فالشعور بالحرّية تم فقد من خلال عدم فاعليته داخل مجتمعه كعضو ، بعد أن كان رئيس حزب سياسي يدافع فيه عن حق الفرد في الحرية داخل مجتمعه ذلك أنّ: «**الممارسة السياسية في العالم العربي تلحّ أنّ تحرير الفرد يمرّ حتما عن طريق تحرير المجتمع، و أنّ حرّية الفكر مرتبطة بالحرية السياسية وهذه بالحرّية الاجتماعية والاقتصادية**»[17]، لكن إذا لم يحرّر الفرد فيستلزم بالضرورة عدم تحرير المجتمع وهذا ما جعل إمكانية تحقق "حرية الفعل" بتعبير الروائية معدومة، لأن البطل قد فقدها بصفته فاعلا في المجتمع المغربي. لذا نجده قد فضّل ممارسة حقّه في الإضراب عن الكلام في شؤون السياسة ،واللجوء ذهنيا إلى المثل العربي الشهير "الصمت حكمة "، فمن خلال استعارة الأمة مؤسسة اقتصادية ، يظهر رأس المال التجسد في الكلام في مقابل الفعل، فالكلام في المعادلة الاقتصادية لا يحدث الربح بل الخسارة ، و الربح الحقيقي يكون بالفعل حتى يتحقق الإنجاز للعمل، وبالتالي قد مارس بطل الرواية حق الاحتجاج عن طريق الصمت لأن الفعل منعدم في المعادلة الذهنية.

تواصل الروائية عرضها في المعادلة الاقتصادية لتغريب المجتمع عن طريق الأوبئة، لتحقيق الربح السريع في قولها:«**أمام هذا العجز العام لمواجهة الفيروس الغريب لجأت بعض الشركات إلى استيراد الأقنعة الواقية من بلدان ذات خبرة عالية كاليابان والصين** ... »[18]، لقد كانت هذه هي المرحلة الأولى للترويج للأقنعة الواقية، وقد حدّدت البلدان المصدّرة " اليابان والصين" باعتبار منتجاتهم الأكثر ترويجا في العالم، لقد مثل الوباء السبب الحقيقي لاقتناء الأقنعة كمرحلة أولية من طرف الشركات ثم بعد ذلك تبيعها للمستهلك وهم أفراد المجتمع، بعد ذلك تتحوّل الأقنعة إلى من وسيلة اقتصادية تستورد بماركات يابانية وصينية إلى وسيلة تسهم في اغتراب أبناء المجتمع الواحد عن يعضهم البعض، فبها تنتفي روابط التواصل بين أبناء المجتمع الواحد ،وهذا ما حدث بالفعل في جائحة كورونا أو كوفيد 19، في الفترة الممتدّة بين 2019إلى 2021، وقد أدّى تمثل الروائية لهذا الفيروس للتنبؤ بها قبل حدوثها بسنوات، هذا ما يجعل الرواية منفتحة على آفاق مستقبلية وفي هذا المقام تقول :«**غير أنّ ما يهمّ الناس الآن هو اقتناء القناع كائنا ما كان مصدره أو ثمنه ...لذلك أصبح الناس ينتقلون بأقنعتهم لا يعرف أحدهم الآخر ... غرباء يمرّون جنبا إلى جنب ...لم يعودوا يتبادلون التحيات.لا عبارات "صباح الخير"ولا "السلام عليكم"...تلتقي العيون الغريبة لحظة خاطفة ، وتواصل الطريق في صمت مريب...**»[19]، لقد مثل القناع عملية الحجب الاجتماعي عن التواصل بين الناس، وبالتالي اغترابهم الاجتماعي عن بعضهم البعض، فتغيب العبارات الاجتماعية المسبوكة مسبقا مثل :"صباح الخير و السلام عليكم"التي اعتاد أفراد المجتمع تداولها، فيصبح الفرد في المجتمع الواحد مغتربا عن أفراده ومنه تحدث الانقسامات داخل المجتمع الواحد.

وبالرغم من الوباء والانقسامات تطرح الروائية فكرة النّضال في سبيل تحقيق الحرّية التي قوبلت بالرفض، خاصّة إذا تعلّق الأمر بحرّية المرأة في المجتمعات الدينية المحافظ ، أو بتعبير آخر المجتمعات التي تقدّس سلطة الرجل على المرأة واتّخاذ الدّين ذريعة لذلك، وفي هذا تقول على لسان راويتها :« **كان الموقف من المرأة وخطّة إدماجها في التّنمية الشرارة الّتي أشعلت نار الحرب عليك ....فانهالت عليك التّهديدات من كل حدب وصوب...أصبح رأيك ودفاعك عن حرّية المرأة موضوع أحاديث صلاة الجمعة في بعض المساجد وموضوع مقالات مغرضة في بعض الجرائد المتطرّفة وأصبحت عرضة للتهديد والتّكفير حتّى من طرف بعض النافذين من أجهزة الدّولة** »[20]، يتبين من خلال هذا القول مدى الصراع القائم في سبيل تحيق حرّية المرأة في المجتمع المغربي خاصّة والمجتمع العربي عامّة ، ذلك أن التفكير العربي قائم على قوامة الرجل على المرأة هذا الخطاب الذي كرّسته المؤسسة الدينية في المجتمع على مدى قرون ، وأي حديث في مجال إدماج المرأة داخل المجتمع يقابل بالرفض وهذا ما حدث فعلا في محفل الرواية لقد كانت أول مؤسسة تتحدّث عن معارضتها لبطل الرواية هي المؤسسة الدينية المتجسدة في المسجد وفي شخص الفقيه هذا الأخير، الذي يحمل سلطة المواجهة والتكفير لكل من يتعارض مع أفكاره ومعتقداته الدّينية، كذلك واجه معارضة أصحاب الأفكار المتطرّفة التي

تكرّس الفكر الرجولي باسم الدّين والمجتمع ولم يكتفوا بالمعارضة لفكرة المثقف بل وصل ذلك إلى درجة التّهديد والتكفير،وهذا الأمر طبيعي في المجتمعات المحمّلة بالأفكار التي تسعى لتهميش المرأة .

وكل هذا أدّى إلى خيبة أمل المثقف في الحلم بالإصلاح داخل وطنه ، حيث عبرت الروائية عن تخلي الوطن عن بطلها واغترابه عنه رغم بقائه، في قولها :«**علاقتك بالوطن كانت شبيهة بالعلاقة بين التي ربطت بين ذلك الابن وأمّه التي شاهدناها على شاشة التلفزيون في برنامج "لقاء الغائب" ذلك الإبن الذي ظل العمر كلّه يبحث عن أمّه التي تخلت عنه ...وعندما استطاع أخيرا العثور على عنوانها بمساعدة فريق البرنامج، اتّجه إلى بيتها وكلّه شوق لرؤيتها وضمّها إلى صدره لكنّ المفاجأة كانت صادمة رفضت الأم رؤية ابنها رفضا باتّا ... كاد الرجل/الطفل أن يجنّ، أيعقل أن يكون قلب بكلّ هذه القسوة** »[21]، شبهت الروائية في هذا القول علاقة المثقف المرفوض من طرف وطنه، كعلاقة الأم التي بحث عنها ابنها الذي كان ينتظر أخذها بين أحضانه بفارغ الصبر، وإذا بالأم تتصرّف عكس طبيعتها وترفضه ، كذلك هو المثقف في وطن يرفض أفكاره التحرّرية فيرفضه كما رفضت الأم ابنها.

### 4- سلطة الغياب:

تجلت سلطة الغياب في الرواية من خلال تمجيد الوطن لمن هو مفقود وغير موجود فيه من مثقفين، ففي فترة البقاء فيه تسطو عليهم وتغتال أفكارهم ،أما أثناء غيابهم تحضر سلطة تمجيدهم وإعادة الاعتبار لهم كونهم أبطال، هذا ما لمسناه في قول الروائية :«**للغياب سلطة لا مثيل لها! الغياب يعيد للأبطال اعتبارهم الذي يفقدهم الواقع إيّاه ، ذلك أنّ وطننا الحبيب لا يمجّد سوى الأموات ولا يقدّر قيمة الأفراد إلا بعد فقدانهم**»[22]، فحق الاعتراف بأفكار المثقفين في بلدهم حسب رأي الرواية لا يكون إلا بعد غيابهم، وقد عبرت عن هذه السلطة بلفظة " الأموات" ، حيث لا يكون تقديرهم الاجتماعي إلا بعد فقدانهم، وهذا مثبت تاريخيا فالابطال والقديسين للذين يحملون أفكارا تحرّرية، يواجهون في بداية طرحهم لا فكارهم بالرفض والتهميش وفي بعض الأحيان إلى القمع والقتل، كما حدث لغاليلي غاليليو عندما واجه الكنيسة بفكرة كروية الأرض .

وقد استحضرت الروائية في تصوّرها لسلطة الغياب والتّهميش التي يعيشها المثقّف داخل بلده ، عن طريق الخسارة التي تمنعه من مواصلة نضاله في سبيل الحرّية، فتقول على لسان روايتها وهي تفتح مذكرات زوجها لتقرأها بعد غيابه:«**الخسران هو الضلال والضياع والشعور بالخسران عند الوجوديين صفة الموجود المهمل، و لاسيما الإنسان الخالي من الأمل والرّجاء الذي لا تورّثه الحياة إلّا الحسرة و لا يرتجي أن يصل في نهايتها إلّا إلى الشّقاء والموت والهلاك** »[23]. فتعرض من خلال هذا القول التصوّر الوجودي لمعنى الشعور بالخسران، حيث يكون فيه الإنسان مهمل في مجتمعه، ضالا لطريقه فاقدا بوصلة النجاة، فيضل متحسّرا مقهورا ولا يصل في نهاية رحلته إلا إلى التعب ومن ثم الفناء.

وقد ربطت الروائية الضياع الذي حدث للمثقف في المجتمع بالاغتراب وفقدان الحرّية، مستعرضة قول كارل ماركس فتقول: «**الاغتراب والضياع أن يفقد الإنسان حريته واستقلاله الذاتي ويصبح ملكا لغيره تتصرّف السلطات الحاكمة فيه تصرّفها في السلع التّجارية (ماركس)**»[24]، لقد كان استحضارها لقول كارل ماركس دعوة منها إلى المطالبة بحرّية الإنسان في مجتمعه واستقلاله الذاتي دون قيود تجعله مستعبدا من طرف غيره فيقع ضحيّة الاستغلال، حيث يفقد إنسانيته ويتحوّل إلى سلعة تباع وتشترى في السوق الاقتصادية .

تواصل الروائية عرض صورة المثقف الذي فقد كلّ أمل في تغيير مجتمعه ليلجأ إلى جزيرة بعيدة عن وطنه فتقول على لسان راويتها :«**لعلّك كنت بدون شكّ تعلم بقرب هذا المصير بواسطة حدسك أو بصيرتك، فأبحرت باكرا في اتّجاه تلك الجزيرة النّائية، حيث الصمت طبيعي يدخل في منطق الأشياء ، فلا يثير أيّ إحساس بالألم والهوان، لهذا أغبطك على السكون الذي تنعم به في جزيرتك لأنّ سكوننا مفعم بكلّ ألوان الفجيعة والاغتراب !**»[25]، لقد صورت الروائية بطلها المثقف وهو في أعلى درجات وعيه وهي "العلم " عن طريق "الحدس والبصيرة " ، بأنّ عليه الرحيل واللجوء إلى مكان نائي ، بعيد عن تعقيدات المدينة ومشاكلها، وهو قد اختارت له الجزيرة ، لما يتمتع به هذا المكان الجغرافي من عزلة وهدوء .مما يمكّنه من تجاوز إحساسه بالألم الذي تسبب في اغترابه ، لكنّ اللجوء إلى الجزيرة قد يجسّد نوعا آخر من الاغتراب الايجابي الذي يحيلنا إلى حالة حيّ بن يقضان بطل قصة ابن طفيل الذي حوّل اغترابه إلى رحلة للبحث عن الحقيقة الإلهية لكن الفرق بينه وين حي ابن يقضان أنّ بطل الرواية قد لجأ للجزيرة هروبا من التعسف الذي شهده من طرف السلطة السياسية والدينية في مجتمعه .

لقد تمكنت الروائية من عرض تصوّرها عن سلطة الغياب من خلال عرض خواطر روايتها المفترضة فتقول :

« **أيّها الموغل في الهروب**

**هل تدري**

**أنّك كلّما أمعنت الغيابا**

**ازددت اقترابا** »[26]، لقد أدّى لجوء بطل الرواية إلى الهروب من واقعه الاجتماعي، وتفضيله له في مقابل المواجهة التي سببت له الألم، لكنّ حنين زوجته له لا يتوقف، فبالرّغم من غيابه فهو يسكن في أعماقها، وقد كانت للغة الشعرية دورا في الوصول إلى عمق مشاعر الرواية تجاه زوج راويتها المغترب عنها، وقد كانت كتابة الشعر له ملاذها الوحيد للتعبير عن مشاعر الحب وأحاسيسها تجاهه التي تولّدت من عمق ثقافتها :«**فأحاسيس الفرد ومشاعره هي وليدة الثقافة التي ترعرع فيها ، وتغلغلت أنماط تفكيرها في عروقه وجرت في دمائه وكوّنت وجدانه ، وإذا أراد أن يعطي للعاطفة سحرها وعنفوانها وألقها، فعليه أن يعلي من شأنها ، فيسقطها على المحبوب**»[27] ، و تبدو جليا ثقافة الراوية المفترضة من خلال كتابتها للغة الشعر الحرّ ويبدو تأثرها جليا

بالشعر العراقي خاصّة "بدر شاكر السياب "، وقد صورت الروائية مشاعر بطلتها تجاه زوجها عن طريق اللجوء إلى الشعر الحر، لتعبر عن عاطفتها بحرّية مطلقة.

تواصل الروائية عرض صورة الاغتراب الذي نشأ عن سلطة الغياب لزوج الرواية، وقد تمثلت الروائية هذا الفقد من خلال استعراضها لقصة آدم عليه السلام بحوّاء حيث تقول :«**كنت سعيدة بلقائك، بتلك اللحظات التي عشناها معا في الجنّة، لكن تلك السعادة سرعان ما انقلبت إلى شقاء وتعاسة عندما تحوّلت إلى مجرّد وهم ...عندما أخذوك عني بعيدا لا أعرف إلى أين ... و قذفوا بي في تلك الصحراء الرّهيبة لأشقّ طريقي بنفسي وأتابع فيها السير وحدي... ألم أنصحك بعدم أكل التفاحة المحرّمة ؟!**»[28]، تظهر من خلال هذا القول صورة الفقد الناتج عن سلطة الغياب خاصّة إذا الغائب هو الزوج عندها تفقد المرأة من يكمل معها دورها في الحياة . وتفقد السعادة التي تنشأ من خلال عملية العيش السعيدة التي تحوّلت من خلال البعد إلى تعاسة، لأنّ سلطة البعد لم تكن بإرادته بل تمت عن طريق الإجبار فلم يختر زوجها البعد عنها بل قد تم له ذلك عن طريق الإكراه، وقد صورت الروائية بقاء راويتها في الوطن بمثابة الرمي في الصحراء القاحلة بعد حرمانها من زوجها.

ثم تختم الروائية رؤيتها رؤيتها لسلطة الغياب عن طريق راوية الرواية المفترضة فتقول:« **مابين النوم و اليقظة .....سمعت شبه تهديدات .....أصخت السمع مرّة أخرى ... جاهدة لأتبيّن الأصوات ...**

**–ألا تتركين الغائب ينعم بالهدوء ؟**

**–لماذا تحوّلين حياته إلى جحيم بتقاريرك المسمومة ؟**

**–ألا تعلمين أنّه يكره الثرثرة ؟**

**–ألم تتعلّمي منه حكمة الصمت؟**

**–ألم يسمح "بالجمل وما حمل " من أجل أن يربح نفسه فقط ؟**

**–ألم تكن مثل هذه التقارير التي أفنى عمره عبثا في كتابتها، ما دفع به إلى الرحيل؟**»[29]

لقد كانت كل هذه الأصوات مجرّد هواجس كانت تراود الراوية البطلة ، لكن الروائية عبّرت بها عن حقيقة ما يعيشه المثقف داخل مجتمع تحكمه سلطة متعسفة تفضّل الصمت على المعارضة فأغلب هذه الاستفهامات متعلقة بأدوات نفي مما يجعل الخطاب يحمل نبرة الاستنكار والاحتجاج على الفعل الذي قد يؤدّي إلى التغيير. لذا يكون الترك أحد الوسائل التي تبقي سلطة الغياب قائمة للمثقف داخل المجتمع.

## 5- خاتمة:

يمكن في الأخير ان نستخلص النتائج التالية:

أن الروائية الزهرة رميج في روايتها أخاديد الأسوار قد تمثلت سطوة البقاء للمثقف المدافع عن الحرّية داخل وطنه للمهمشين والضعفاء من المجتمع، لكن محاولته جوبهت بالرفض من طرف أصحاب السلطة في بلده .

كما تمثلت رؤيتها للمثقف المعارض لممارسة السلطة المتعسفة في حق الأفراد في المجتمع من وجهة نظر وجودية وماركسية في نفس الوقت .

أعطت الروائية لسطوة البقاء قوّة مكنت بطل الرواية من الدّفاع عن حقوق المرأة في المجتمع لكنه لاقى كل أنواع الهجوم من طرف جميع السلطات في المجتمع.

وقد تمثلت الاغتراب في أعمق معانيه ، لتعبر عن الاستيلاب الثقافي داخل المجتمع من خلال طرحها فكرة الوباء الذي بسببه يغترب أفراد المجتمع وقد فتح تنبؤها بفيروس كورونا الرواية على المستقبل ، فيصبح نص الرواية نص مفتوح.

كما أعطت للغياب سلطة تغيير حياة المثقف داخل مجتمع تحكمه سلطة المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية، من خلال تفضيل الصمت على البوح بالحقيقة .

وقد تميزت الروائية في تمثلها لثقافة الاغتراب بالمعنى الشمولي فليس المغترب من يدخل السجن بل يستطيع الفرد أن يشعر بالاغتراب وهو خارج أسواره، وليس المغترب من هجر وطنه واغترب عنه فقد يستطيع الفرد الشعور بالاغتراب داخل وطنه.

## 6- الهوامش

[1] -عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2007،ص 14

[2] -جمال تالي و نور الدّين تاوريريت، الاغتراب من الفكر الفلسفي إلى ما بعد الحداثة، مجلّة الحكمة للدراسات الفلسفية، عدد 1، جانفي 2013، ص 191.

[3] - جمال تالي و نور الدّين تاوريريت، المرجع السابق، ص194.

[4] -المرجع نفسه، ص195.

[5] -صابر الحباشة، تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، دار حامد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2011، ص70.

[6] -الزهرة رميج ،أخاديد الأسوار ،المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم ناشرون، المغرب / بيروت – لبنان ،2007،ص15.

[7] -الزهرة زميج، الرواية ،ص:15.

[8] -المصدر نفسه،ص:15.

[9] -المصدر السابق، ص16.

[10] -المصدر نفسه، ص63.

[11] -المصدر نفسه، ص65.

[12] -المصدر نفسه ،ص 66.

[13] -ادوارد سعيد، المثقّف والسلطة تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006،ص 43

[14] -الزهرة رميج، الرواية، ص91.

[15] -سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني و وستبريش، بيروت، الدار البيضاء، ط1985،1.

[16] الزهرة رميج، الرواية، ص91.

[17] -عبد الله العروي مفهوم الحرّية، المركز الثقافي العربي، ط5، بيروت الحمراء ،الدّار البيضاء ،1993،ص77.

[18] -الزهرة رميجي، الرواية ،ص110.

[19] - المصدر السابق، ص111.

[20] - المصدر نفسه، ص124.

[21] - المصدر السابق،ص 126.

[22] المصدر نفسه ،ص 53.

[23] -المصدر السابق، ص 81.

[24] - المصدر نفسه ،ص ص 82.81.

[25] - المصدر نفسه ،ص 92.

[26] -المصدر السابق ،ص 118.

[27] -إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، الرباط، الجزائر العاصمة-الجزائر، بيروت 2014، ص 177.

[28] -المصدر نفسه، ص 153.

[29] -المصدر السابق، ص: 154.

## 7- المراجع:


1. الزهرة رميج، أخاديد الأسوار، المركز الثقافي العربي والدار العربية للعلوم ناشرون، المغرب/بيروت - لبنان،2007.
2. إدريس الكريوي، بلاغة السرد في الرواية العربية، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، الرباط، الجزائر العاصمة-الجزائر، بيروت 2014.
3. ادوارد سعيد، المثقّف والسلطة تر: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006.
4. جمال تالي ونور الدّين تاوريريت، الاغتراب من الفكر الفلسفي إلى ما بعد الحداثة، مجلّة الحكمة للدراسات الفلسفية، عدد 1، جانفي 2013.
5. عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ، 2007.
6. عبد الله العروي، مفهوم الحرّية، المركز الثقافي العربي، ط5، بيروت الحمراء، الدّار البيضاء ،1993.

7. سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني و وستبريش، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1، 1985.
8. صابر الحباشة ، تحليل المعنى مقاربات في علم الدّلالة، دار حامد للنشر والتوزيع ، ط1، الأردن ، 2011.